كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: النقد في عصر بني أمية (بيئة العراق)

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: (Iraq Criticism in the period of Umayyad state environment)

مقرر الفصل الأول

ثالثا : بيئة العراق

يتكوَّن المجتمع العراقي من القبائل العربية النازحة وسكان البلاد وبقايا الفرس الذين استقروا بعد الفتح واختلطوا بالعرب، الأمر الذي أدى الى صراع لغوي نتج عنه اهتزاز في سلامة اللغة العربية، وقد أدى هذا إلى التفكير في البحث عن وسائل لمنع أي تدهور في مستوى اللغة العربية.

إنَّ قيام الدراسات القرآنية ونشاط الشعر والشعراء، كل ذلك أسهم في قيام حركة لغوية ونحوية نشطة في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن الأول.

ولعلَّ الحركة النقدية التي كان أغلب قادتها من غير العرب كانت حركةً بنيت في الأساس على رصد الأخطاء التي وردت في شعر الشعراء العرب، وكان المصحح لها من اللغويين والنقاد الذين لا ينتسبون الى العرب.

ومن نماذج هذا النقد ما ورد من تعليق عبد الله بن إسحاق الحضرمي حول شعر الفرزدق في قوله:

مُستقبلينَ شمال الشَّام تضرِبهم بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ

على عمائمنا تُلقى وأرحُلِنا على زواحفَ تُزجى مخّها (ريرِ)

واحتج عليه ابن أبي اسحاق، فقال: إنَّما هو (ريرُ) بالضم، وكذلك قياس النحو.

وحين احتج عليه عنبسة الفيل قال له:" ما يدريك يا ابن النبطية، ثم دخل قلبه منه شيء فغيَّره"، ومثل هذا قول الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروانَ لم يدعْ من المالِ إلا مُسحَتًا او مجلَّفُ

وسأله ابن أبي اسحاق على أيِّ شيء رفعتَ مجلفا؟ فقال: على ما يسوءُك وينوءُك عليَّ أن أقول وعليكم أن تؤولوا.

توجَّه النقاد أيضا الى التعقيد اللفظي عند ذي الرُّمة في قوله:

كأنَّ أصواتَ من أيغالهنَّ بنا أواخرِ الميسِ أصواتُ الفراريج

وهو يريد من ذلك (كأنَّ صوت أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا)

كذلك ناقش النقاد في بيئة العراق مسألة السرقات الشعرية .

يقول أبو عمرو بن العلاء: (لقيت الفرزدق في المربد، فقلت يا أبا فراس أحدثت شيئاً ؟ فقال: خذ ثم أنشدني:

كم دُونَ مَيّةَ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذِفٍ ... وَمِنْ فَلاَةٍ بِهَا تُسْتَودَعُ العِيسُ

قال: فقلت: سبحان الله، هذا للمتلمس، فقال: اكتمها فَلَضَوالُّ الشعر أحبُّ إليَّ من ضَوَالِّ الإبل.

وللفرزدق صولات في السرقة الشعرية، فقد استوقف ذا الرُّمة في الطريق، وقال له في أبيات: إياك أن يسمعها منك أحد فأنا أحق بها منك.

وأغار على شعر الشمردل اليربوعي مرة، وقال :(والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، فقال: خذه على كره منِّي لا بارك الله لك فيه)

وتكرر عدوان الفرزدق على الشعراء حتى اتهمه الأصمعي بأن يكون تسعة أعشار شعره سرقة، وفسر قول الاصمعي بأنَّ سببه تهجم الفرزدق على باهلة قوم الاصمعي .

ومن النقد المنطقي ما قيل عن بيت جرير:

صارَتْ حَنيفةُ أَثلاثًا فَثُلُثُهُمُ ... من العبيدِ وثلثٌ من مَوالِيها

قال المرزباني:(إنَّ جرير لما قال هذا البيت، قيل لرجل من بني حنيفة من أيهم أنت ؟ قال: أنا من الثلث الملغي)

كذلك كان للشعراء أنفسهم مواقف نقدية، فقد قيل لنُصيب (أخبرني عن أصحابك، فقال: جميل إمامُنا، وعمر أوصفنا لربات الحجال، وكُثيِّر أبكانا على الدِّمن، وأمدحنا للملوك، وأما أنا فقد قلت ما سمعت قلت: فَإِن النَّاس يَزْعمُونَ أَنَّك لَا تحسن أَن تهجو، قَالَ: فأقروا لي أَنِّي أحسن المديح؟ قلت: نعم، قَالَ: أفترى لَا أحسن أَن أجعَل مَكَان عافك الله أخزاك الله؟)

ومن هذا القبيل أيضًا ما يقال إنَّ الأخطل سئل أيكم أشعر؟ قال: أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحُمر، يعني النساء، وأما جرير فأنسبنا وأشببنا، وأما الفرزدق فأفخرنا.

النقد الأدبي عند اللغويين

للغويين والنحاة أثر في نشوء نقدهم اللغوي الذي تمثل في نقدهم الأدب والشعر منه على وجه الخصوص، وقد بدأت محاولاتهم النقدية في نهاية القرن الأول تمثلت أغلب ملاحظاتهم في رصد أخطاء الشعراء اللغوية بغية الحفاظ على سلامة اللغة العربية، فضلًا عن توجيه الشعراء وتنبيههم، ولعلَّ أبرز النقاد في هذا العصر يحيى بن يعمر، وعيسى بن عمر، وعبدالله بن اسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وخلف الأحمر، فهؤلاء تتبعوا العرب في كلامهم فضبطوا ألفاظهم وعرفوا مدلولاتها وحركاتها، ووضعوا الأسس الأولى لعلومها التي أصبح لكل علم قواعد ومصطلحات نمت بعد وازدهرت في دولة بني العباس .

هذه الحملة التي حمل اللغويون لواءها مرَّت بطورين :

الاول : استنكار الخطأ والسخرية من مرتكبيه .

الثاني : ظهور المقاييس والقواعد التي الزمت الشعراء بضرورة السير على منوالها .

ومن أمثلة هذا النقد ما عيب على الفرزدق في قوله:

غداة أحلَّت لابن أصرمَ طعنةٌ حُصينٌ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

فقد أخذوا عليه رفع (الخمر) والأولى نصبها؛ لأنَّها معطوفة على (عبيطات) وإنَّما هي معطوفةٌ عليها وكأنَّ وجهها النصب، فكأنَّه أراد وحلَّت الخمر.

ومن الروايات ذات المنحى اللغوي، ما دار بين يحيى بن يعمر والحجاج عندما قال له: أتجدني ألحنُ؟ فقال يحيى الأمير أفصح من ذلك. فقال: عزمت عليك لتخبرني! فقال يحيى: نعم في قوله تعالى:(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ) فرفعت (أحبَّ) وهو منصوب، فغضب الحجاج، وقال لا تساكنني ببلد أنا فيه ونفاه الى خرسان .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ (أصحاب النحو من أهل الكوفة والبصرة كانوا ينتقدون الألفاظ على الشعراء، ويتتبعون سقطاتهم ولم يخف عليهم من ذلك الا النبذ اليسيرة)

وكانت مجالس العلماء في العصر الاموي مكاناً خصباً ومناسبًا للحوار والتوجيه في القضايا النحوية واللغوية، فقد تابعوا الشعراء في أخطائهم وشكَّلت هذه المتابعةُ للشعراء رافدًا مهمًا من روافد التثقيف والتهذيب، وكذلك فإنَّ النقد النحوي واللغوي قد ساعد على تنقية اللغة الفصحى من الفساد الذي دخل إليها بسبب غفلة الشعراء وتأثرهم بما حولهم من لهجات عامية او لهجات قبلية .

يقول الأستاذ طه أحمد إبراهيم:" كان هؤلاء النحاة يتتبعون كلام العرب ليستنبطوا منه قواعد النحو أو وجوه الاشتقاق والأعاريض التي جاء الشعر عليها، وهذا الاستنباط يجرهم بالضرورة الى نقد الشعر لا من حيث عذوبته او رقته او جماله الفني بل من حيث مخالفته للأصول التي هداهم استقراؤهم إليها من إعراب أو وزن أو قافية، فاظهروا بعض ما وقع فيه شعراء الجاهلية من الخطأ في الصياغة، وما وقع فيه الاسلاميون" من ذلك أن عيسى بن عمر أخذ على النابغة أنَّه رفع (ناقع) في قوله :

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقش في أنيابِها السُّمُ ناقعُ

وكان حقه النصب على الحال، ولكن ابن هشام في المغني أيَّد قراءة النابغة على أنه خبر للسم أو خبر ثانٍ.

وكان الرواة والنحويون يجدون في شعر الفرزدق ما يستهويهم ويثر فيهم الجدل، وقد قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة .

كما أخذوا على شعر الفرزدق تعقيد شعره في قوله:

ومَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاّ مُمَلَّكاً ... أبُو أمَّهِ حَيٌّ أبوهُ يُقَارِبُهْ

هنا يمدح خال هشام بن عبدالملك إذ أراد: وما مثل ابراهيم في الناس حيٌّ يشبهه في فضائله الا مملكًا أبو أم ذلك الملك ويقصد بالملك هشاماً، أبو أم ذلك الملك أبو هذا الممدوح. لكنه قدَّم وأخَّر وفصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ و(أبوه) وهو خبر بأجنبي وهو (حيٌّ) وقدَّم المستثنى منه وهجَّن البيت.

وأصل الكلام: وما مثلُهُ في الناس حَيٌّ يقاربُه إلا مُملكًا أبُو أُمِّهِ أبوه.

ومن نماذج النقد اللغوي في هذا العصر نخرج الى أنَّ هذه الجهود قامت على أساسين: الاول: تنقية اللغة، والآخر: توثيق النصوص.

تطبيقات الفصل الثالث

س١/ صف الموقف النقدي لابن أبي عتيق تجاه الشعر والشعراء في عصر بني امية

س٢/ اتخذت السيدة سكينة بنت الحسين(رضي الله عنها) المعيار الإيماني سبيلًا لنقدها. ناقش ذلك.

س٣/ تعددت البيئات النقدية في عصر بني أمية، اذكرها ثم أوجز الحديث عن واحدة منها.

س٤/ اتسم النقد في بيئة الشام بالطابع الرسمي، ناقش ذلك.

س٥/ لم يكن النقد في بيئة العراق قائمًا على ابراز القيم الجمالية للشعر، بل قام على رصد أخطاء الشعراء اللغوية، ناقش ذلك .